العَتباتُ النَّصيَّةُ في دِيوانِ (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ) للشاعر وحيد شلال

Textual thresholds in a collection of poems (Hymns of Departure) by the poet Waheed Shallal

م.د. سهام حسن خضر

الجامعة المستنصرية / كلية طب الاسنان

L. Dr .siham Hassan khudhur

mustansiriya university College of Dentistry

E:mail : drsihamhasan@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص :

تَأتِي تِلكَ الدِّرَاسَةُ النَّصيَّةُ بِوصفِهَا مُقارَبَةً سِميولوجِيَّةً لِدِيوانِ المُهندِسِ الشَّاعرِ/ وَحيد شلال ، فِي إطارِ المَنهجِ مَا بَعدَ البنيَويّ ، تَجلِيَةً لِمعالِمِ نُصُوصِهِ وَسبْرِ أَغوارِ خَطابَاتِهَا المُرتَكِزَةِ عَلَى عَددٍ مِن الدَّعائِمِ النَّصيَّةِ المُبرزَةِ لِتجَلّياتِ المُتعالِيَاتِ المُتنَاصَّةِ فِي مَظاهِرِهَا المُختَلِفَةِ ، بِغَرَضِ بَلوَرَةِ أَثَرِ انفتاحِ الخِطَابِ الشِّعرِيّ فِي دِيوانِ هَذا الشَّاعرِ عَلَى فَضَاءَاتٍ رَحبَةٍ وَآفاقٍ مُنتِجَةٍ لِمعايِيرِ بِناءِ العَتبَاتِ الأَصِيلَةِ والفَرعِيَّةِ لَدَيهِ فِي النُّصوصِ والخِطابَاتِ المُتعدَّدَةِ المُقحَمَةِ مِن دَاخِلِ أنساقِهِ أو مِن خَارِجِ سَياقَاتِهِ ؛ لِغايَةٍ أَو أُخرَى فِي صُلبِ خِطابِهِ الشِّعرِيّ النُّصوصِ عَلَيهِ فِي مَنظُوماتِ دِيوانِه (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ).

الكلمات المفتاحية: العَتَباتُ ، النَّصيَّةُ ، المُتعَالِيَّاتُ ، الانفِتاحُ ، الحَدَاثَةُ.

Abstract:

This study is considered as semiotic approach for the collection of poems by the engineer poet Waheed Shalal according to the after the structural approach to show the features of his texts and to fathom his speeches which depend on a number of textual props which show the highest intertextuality in all its various phenomena. The poet has wide spaces and productive horizons for the standards of building the original and secondary thresholds he has in the multiple texts and discourses inserted from within or outside his systems, to one end or another at the core of his poetic discourse, the texts of it are in his collections (Hymns of Departure).

***Keywords**: (Thresholds, Textuality, Transcendentalism, Openness, Modernity).*

المَقدِمة

فِيمَا ينضوِي تَحَت نظريّةِ العتباتِ النصيَّةِ مِن التمثَّلاتِ الإجرائيَّةِ المُبرزةِ لِمنعكساتِ المُنجَزِ الشِّعريّ – خاصَّـةً – وَرُؤاهُ النّابعةِ مِن تعالقِ هذا النصّ مَعَ نصـوصٍ أُخرَى استَقَى مِنها بَعضَ مادَّتِهِ فِي الشَّكلِ أو الجَوهرِ، مَا يُشكِّلُ الدّافعيّةَ لاختيارِ هذا المنهجِ تحديدًا.

وَذلك انطلاقًا مِمَّا لِنظريةِ العتباتِ النصـيَّةِ مِن دَورٍ بَارزٍ فِي إعادَةِ قراءَةِ النصّ الشِّـعريّ والتحكُّمِ فِي إنتاجِ دلالتِهِ بِصــورَةٍ جَديدةٍ تَتناسَــبُ مَعَ مُحتواهُ ومُرتكزاتِ بِنائِهِ الدَّاخِليَّةِ ، وَتُبرِزُ مدَى مَا حقَّقَهُ انفِتاحُهُ عَلَى النُّصــوصِ الَّتي أفادَ مِنهَا ، تلك النُّصـوصُ الَّتي تدخلُ – عِندَ المُوازَنةِ – فِي حَيّزِ التَّوازِي مَعَهُ مِن خِلالِ انفتاحِهِ عَلَيهَا وَنهلِهِ مِنهَا.

هذا بالنَّظَرِ إلَى أنَّ أيًّا مِن النصــوصِ الإبداعيَّةِ عبارةٌ عَن نتاجٍ مُتمازجٍ مِن عِدَّةِ تجارِبٍ داخليَّةٍ ذاتيَّةٍ ، مُنفَتحٍ عَلَى أُخرَى خَارجيَّةٍ شــكَّلَتْ معًا بِناءَهُ الفنيَّ ، لِيُعبّرَ في نِهايةِ المطافِ عَن تجرِبَةِ الشَــاعرِ الخاصَّــةِ المُنبثقةِ مِن نشَــاطِهِ الفرديّ وَنشــاطاتٍ أُخرَى سَــبقتْهُ ، فجَلَّتْ عَمَّا تضــمَّنَهُ عُنوانُهُ مِن دلالاتٍ وثيقةِ الاتِّصــالِ بِبقيَّةِ العناوينِ

الفرعيَةِ المُنضويةِ تَحتَهُ ، ومِن ثَمَّ بِموضوعِهِ ؛ لِإظهارِ مدَى ارتِباطِ تلكَ العنونَاتِ بِبَعضِهَا وَبِمَضمونِ النَّصِّ العامِّ ، بِإخضاعِ النصِّ للقراءةِ العميقةِ المُنتجةِ لِمدلولاتِهِ الخافيةِ.

وبِمُلاحَظَةِ تِلكَ الدَّوالِّ وَمَا عَساهَا تُشِيرُ إلَيهِ العَلامَاتُ السيميولوجِيَّةُ الكَامِنَةُ بَينَ أبنِيَةِ وَتراكِيبِ هذا النَّصِّ ، نَجِدُ أنَّ الدَّورَ الأكبَرَ فِي فَهمِ وَتحلِيلِ مَقصدِيَّاتِ هذا النَّصِّ يَرجعُ إلَى تَفسيرِ تِلكَ العَلامَاتِ ، بَما يَتحدَّدُ عَلَى غِرارِهِ المَدلولُ النَّصيُّ المُنبَثِقُ عَن انفتاحِ النَّاصِّ عَلَى عَوالِمِ المُناصَّاتِ الدَّالِيَّةِ ، مِن خِلالِ عَددٍ مِن المُتعالِيَاتِ النَّصيَّةِ المُسهِمَةِ فِي تَحوُّلِ الدَّلالَةِ وَالرَّبطِ بَينَ العَناوينِ وَالنَّصِّ المُعَبِّرَةِ عَنهُ بِوصفِهَا العَتَبَةَ الرَّئيسَةَ الَّتي يَتَّخذُهَا النَّاصُّ وَالقَارئُ مَعًا سَبيلًا إلَى التَّحلِيقِ فِي فَضَاءَاتِهِ الدَّاخِليَّةِ وَالتَّأطِيرِ لَهَا بوشيجَةٍ مَا تَسعَى إلَى مَزجِ العُنوانِ بَصُلبِ النَّصِّ ؛ بِحيثُ لَا يَكونُ كلٌّ مِنهُما بَمنأًى عَن صَاحِبِهِ.

وَفِي قَراءَةٍ سسيولوجيةٍ لِديوانِ (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ) للشَّاعرِ المُهندسِ وَحيد شلال ، نَقِفُ عَلَى كمٍّ مُتلاحقٍ مِن العلامَاتِ والدَّوالِّ المُسترفَدَةِ مِن عِدَّةِ مَرجِعيَّاتٍ نَصيَّةٍ جَعَلَتْ مِن النّصِّ مَادَّةً ثَريَّةً مُنبثقةً عَن كَمٍّ هائلٍ مِن الروافدِ الخارجِيَّةِ ، وَمِن هَنا لَاحَ لِي العَمَلُ عَلَى قراءَةِ هذا الدِّيوانِ مِن خِلالِ المَنهجِ البنيويّ وَنظريَّةِ الانفتاحِ النصيّ ، إلَى جَنبِ قَراءَتِهِ بِوسَاطَةِ مُقارَبَةٍ لِعتباتِهِ النَّصيَّةِ ؛ لِبيانِ أثَرِهَا فِي بَلوَرةِ بَيانِ الشَاعرِ عَن مَضمونِ نَصِّهِ.

عَلَى أن تَقَعَ هذِه القَراءَةُ فِي مُقَدِّمَةٍ وَثلاثَةِ محاور وَخاتِمَةٍ تَرصدُ أبَرزَ مَا تَوصَلَتْ إلَيهِ الدِراسَةُ مِن مَلامحِ القَصديَّةِ لَدَى ألشاعر وَمعالِمِ الانفتاحِ النَّصيّ عَلَى مُحيطِ القَصيدَةِ عِندَهُ ، عَلَى هذا النَّحو:

المِحوَرُ الأَوَّلُ : التَّرَاكُبُ النَّصيُّ بَينَ العَتَباتِ الفَرعِيَّةِ والعُنوانِ.

المِحوَرُ الثَّانِي : انِفتاحُ نُصوصِ دِيوانِ (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ) النَّصيَّةِ عَلَى النَّصِّ المُوازِي.

المِحوَرُ الثَّالِثُ : أنماطُ التَّعالِي النَّصيِّ المُتوازِيَةِ فِي دِيوانِ (تَراتِيلِ الرَحِيلِ).

المحور الاول

- **التَّرَاكُبُ النَّصيُّ بَينَ العَتَباتِ الفَرعِيَّةِ وَالعُنوَانِ** (بهلول، ٢٠١٨، صفحة ٣٣)

بَادٍ مِن القَراءَةِ الأُولَى لِنصُوصِ هذا الدِّيوانِ مَدَى التَّفارُقِ السسيولوجيِّ بَينَ التَّراكِيبِ الَّتي خصَّصهَا الشَّاعرُ لِعَتَبَةِ هذا الدِّيوانِ الأُولَى ، وَعتبَاتِهِ الفَرعِيَّةِ المُوضُوعَةِ عَلَى رَأسِ كلِّ قَصيدَةٍ مِنهُ ، بَل وَبينَ الكَلِمَتَينِ المُتضَايفَتَينِ فِيهِ مِن العَنوانِ الأصِيلِ ، المُشَكِّلِ لِعتَبَةِ الدِّيوانِ الأُولَى (المَدخَلِ) الَّذي اَختارَهُ بِعِنايَةٍ سَعَى بِهَا إلَى المُناسَبَةِ بَينَ مُفردَتَينِ مُخَتَلِفَتَي المعنَى والغايةِ.

وَما كَانَ أوضَحَ ذِلِكَ عِندَ الرَّبطِ بينَ العُنوانِ (تَراتِيلُ الرَّحِيلِ) وَكَلِمَةِ التَّصدِيرِ الَّتي اختَارَ الشَّاعرُ لَهَا إحدَى قَصائدِهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَاطِفَتِهِ المُلِحَّةِ عَلَيهِ بِالشُّعورِ بِدُنوِّ الأَجلِ وقُربِ مَوعدِ الرَّحِيلِ ، بِقولِهِ((شلال، ديوان تراتيل الرحيل، ٢٠٢١، صفحة ٥)

ازهَد بِدُنياكَ إنَّا مَعشَرٌ ظَعَنُوا إلَى شَفَا حُفرَةٍ فِي الدَّهرِ مَسْرَانَا

لَو يَزدَهِيكَ نَعِيمٌ ثوبُهُ قَشبُ فَسَوفُ تَلبَسُ بَعدَ الزَّهوِ أَكفانَا

هَلَّا نَظَرتَ إلَى الأَيَّامِ كَم سَحَقَتْ مَا بَينَ أَقدَامِهَا لِلقاعِ رُكبَانَا

تَبنِي عَلَى ثقَةٍ، إنَّ الرِّياحَ غَدًا تَذرُو وَتعصِفُ مَا شَيَّدتُ بُنيَانَا

لَا تَفرَحَنَّ بِذِي الدُّنيَا وَزُخرُفِهَا فَكُلَّمَا اكتَمَلَتْ سَامَتْكَ نُقصَانَا

ذلِكَ لِمَا نَقِفُ عَلَيهِ مِن اســـتِعمالِهِ لِفعلِ الطلَبِ المُقرّرِ لِحقِيقَةِ الإنســـانِ وحَتمِيَّةِ زَوالِهِ الَّتي كَتَبَهَ عَلَيهِ اللهُ تَعالَى ؛ فَإنَّ طُولَ تَعمِيرِهِ غَيرُ حَائلٍ بَينَهُ وَبينَ مَا قَدَرَهُ اللهُ عَلَيهِ مِن الفَناءِ وَالمَوتِ.

مَا ينَعَكِسُ مَعُه الانطِباعُ بِالاضـطِرابِ وَالارتِباكِ النَّاشِـئَينِ مِن مَعرِفَةِ الشَّـاعرِ وإقرارِهِ بِمصِـيرِهِ الَّذي لَا مَنفَذ مِنهُ وَلا مَفرَّ إلَّأ إلَيهِ ؛ لِقَضَـاءِ اللهِ بِهِ عَلَى جَمِيعِ الخَلقِ وَسـائِرِ النَّاسِ ، بَيدَ أنَّ إضَـافَتَهُ كَلِمَةَ (الرَّحِيلِ) بِمَا تَحمِلُهُ مِن مُعانَاةِ العِلمِ القَطعيّ بِقُربِ الأَجلِ وَانتِصارِ المَوتِ عَلَى الأقوياءِ والضُّعفاءِ ، إلَى كَلِمَةِ (تَراتِيلِ) بِمَا تَعنِيهِ مِن الدَّعَةِ والرَّاحَةِ المُنتِجَةِ فِي نِفسِ المُرتّلِ شَـيئًا مِن السُّكونِ ، تَنافُرٌ ظَاهِرهُ عَدمُ جَوازِ وَصـلِ إحدَى الكَلِمَتينِ بِالأُخرَى ؛ لِمَا بَينَهُما مِن التَّخالُفِ الجَوهريّ فِي الغَأيَةِ والمَعنَى.

وَبِمُطالَعَةِ بَقيَّةِ النَّماذِجِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا راحَ الشَـــاعرُ يَصُـــوغُ فِيهِ خَطِراتِ وُجدانِهِ ، مِن أَمثِلَةِ (دِماءِ غَزَّةَ) وَ(الرَّحِيلُ المُحزِنُ) وَ(دَمعَةُ حُزنٍ عَلَى أعتَابِ كَنائسِ المَوصـــلِ) وَ(القَوافِي الحَزينَة)، تَتجَلَّى بَينَ أيدِينَا سِـــماتُ الانسِجامِ المُتناهِي بَينَ تِلكَ العَتباتِ الفَرعِيَّةِ وَالعُنوانِ الأَصِيلِ لِهذا الدِّيوانِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الدّكتورُ جَميل حمدواي : "وَمِن المَعلُومِ كَذلِكَ أنَّ العُنوانَ هُوَ عَتبَةُ النَّصّ وَبِدياتُهُ وَإشَـــارَتُهُ الأُولَى ، وَهُو كَذَلِكَ مِن العَناصِـــرِ المُجَاوِرَةِ وَالمُحِيطَةِ بِالنَّصّ الرَّئِيسِ..." (الحمداوي، صورة العنوان في الرواية العربية، صفحة م٢٥/ع٣).

وَبشـيءٍ مِن الأَناةِ فِي استِصدَار الحُكمِ عَلَى المُتَضَـايفَينِ المُعنَونِ بِهَما الدِّيوانُ (تَراتِيلُ) وَ(الرَّحِيلُ) يَتَبلوَرُ التَّناسُجُ وَالتَّمازجُ بينَ كِلَيهِمَا مِن حَيثُ الأداءُ الدَّلالِيّ((عكاشة، تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ٢٠١٤، صفحة ١٨٣) المُنتجِ لِمعنًى فَريدٍ، يُؤذِنُ بِشاعِرِيَّةٍ فَذَّةٍ يُحاكِي بِهِ الشَّاعرُ نَموذجًا مَجِيدًا مِن نَماذِجِ الشِّعرِ الكَلاسيكيّ فِي أواسِطِ القَرنِ المُنصَرِمِ.

والجمعِ بَينَ نَسـيجِ هذِه العَناوِينِ وَغَزلِهَ عَلَى مِنوالٍ وَاحدٍ ، تتعَيَّنُ تَطلُّعاتُ الشَـاعرِ الَّتي اسـتَهَدَفَ مِن خِلالِ إعمالِ المُتعالِيَاتِ النَّصـيَّةِ فِي ابتِكارِهَا – مَعَ تَقلِيدِيَّةِ بَعضِـهَا فِي الصَـياغَةِ – المُناصَّـةَ بَينَهَا بِوصـفِهَا الحُضـوريّ الفعليّ (حلمي، ١٠١٩، صـفحة م٦/ ع٢)– وهو أحدُ مُسـتَوَيَينِ فِي التَّناصّ –، وَبينَ بَعضِ النَماذجِ الغَائبَةِ، ذاتِ الأنساقِ المُتَمَحورَةِ حَولَ عَدَدٍ مِن المَرجِعِيَّاتِ التَّناصِيَّةِ .

مِن حَيثُ إنَّهَا عَمِلَتْ عَلَى إحدَاثِ تَقاطُعاتٍ ذَاتِ علَاقَاتٍ نَصـيَّةٍ فِي البِنَاءِ الظَاهرِ للنَّصّ وَالأَبنِيَةِ المُضـمَرَةِ تَحتَ ظِلالِ هَذِ الأنساقِ المُتظَاهِرَةِ ، بَينَ نَصُوصِ الشَاعرِ فِي دِيوانِهِ هذا – بِحسَبِ مَا سَنَقِفُ عَلَيهِ فِي مَواضِـعِهِ مِن هَذِهِ الدِّراسَـةِ – وَبعَضِ النَماذِجِ الشِّـعرِيَّةِ وَالنَّثرِيَّةِ لَدَى سَـابِقِيهِ، مِمَّا يُؤكِّدُ عَلَى تَأثُّرِ مُجمَلِ تِلكَ النُّصـوصِ بِالمُناصَّـاتِ الخَارِجيَّةِ الَّتي انفتَحَ الشَّـاعرُ عَلَيهَا[(منصـر، الخطاب الموازي للقصـيدة العربية المعاصـرة ، ٢٠٠٧، صـفحة ٢٥)؛ طَلَبًا لِتَوثيقِ غَاياتِ خِطابِهِ الشِّـعرِيّ ، وَتحقِيقًا لِمِثالِيَّتِهِ الَّتي لَا تَتَأتَّى لِشـاعرٍ مَا لَم يَعمَد إلَى دَعمِ نَصَّـهِ بِمَا يَدلُّ عَلَى أنَّهُ هَضـيمٌ مِن عَددٍ مِن النُّصـوصِ الَّتي انفَعَلَ بِهَا؛ فَأنشَـأَ نَصَّـهُ تَحتَ رَايَتِهَا مُتَمَثِّلًا بَعضَ غَاياتِهَا ، لِإثَباتِ مَقدِرَتِهِ عَلَى التَّعالِي عَلَيهَا لَا لِلوُقُوفِ لَدَيهَا والرُّكونِ لِطَرِيقَةِ نَظمِهَا.

وَمِن ثَمَّ يَنتَفِي هذا النَّوعُ مِن الفصـامِ الدَلَاليّ[(الحمداوي، صـورة العنوان في الرواية العربية ، ١٩٩٧، صـفحة م٢٥/ع٤) بَينَ المُتضَـايِفَينِ فِي العُنوانِ المُتَّخذِ عَتبَةً أَصـيلَةً لِلدِّيوانِ ، لَاسِـيَمَا أنَّهُ انتَقَى كَلِمَةَ الافتِتاحِ بَالتَّناسُـبِ مَعَ ذلِكَ العُنوانِ ؛ لِقربِهَا مِنهُ ، وشِـدَّةِ التِحامِهَا مَعَهُ فِي الغَرَضِ ، فَالحَدِيثُ عَن الرَّحِيلِ المُزمَعِ عِندَهُ بِمُفارَقَةِ الرُّوحِ لِلجَسَـدِ تَناسُـبٌ ظَاهرُ الدَّلالَةِ بَينَ هذِهِ العَنونَةِ وَنصِّ التَّصـدِيرِ ، فَإنَّ فِي نُصـحِهِ الَّذي اتَّخَذ لَهُ الشَّاعرُ طَرِيقًا غَيرَ مُباشِرٍ بِتَوظِيفِ الفِعلِ الطَلَبيّ (ازهَدْ) مَشفوعًا بِأداةِ الحضّ (هَلَّا) بَلوَرةٌ لِهذا التَّناسُبِ ، إذ نَمَى لِمُدرِكَاتِ الشَـاعرِ أنَّ المَوقِفَ أجلَّ مِن أَن يَنحوَ فِيهِ مَنحَا النُّصـحِ المُباشِـرِ مِن غَيرِ إشَـعارِ المُخاطَبِ بِخطورَةِ الوَاقِعَةِ الَّتي دَلَّ عَلَى خُطورَتِهَا بِقولِهِ:

..... إِنَّـا مَـعشَـــرٌ ظَـعَـنُـوا إِلَـى شَـــفَـا حُـفـرَةٍ، فِـي الـدَّهـرِ مَسْـــرَانَـا

يَؤُمَّ القَصـدَ بِاسـتِعمالِهِ كَلمَةِ (مَعْشَـرٍ) إِلَى الخَلقِ جَمِيعًا ؛ ذَلِكَ أَنَهُ نَصَّـبَ مِن نَفسِـهِ نَاصِـحًا لَهَم بِاتِّخاذِ إجراءَاتِ الوقايَةِ مِمَّا قَد يَحِيقُ بِهِم مِن عَذاباتٍ ، إِذ لَم يَتَّخذُوا تَدابِيرَ الوَقايَةِ الحَائِلَةِ بَينَهُم وَبينَ مَا عَســـاهُ يَقعُ لَهُم مِن تِلكَ العَذابَاتِ.

وَهوَ فِي ذلِكَ مُلزَمٌ بِإِلاَنَةِ الجَانِبِ وَانتِقاءِ العِبارَةِ الَّتي يَنصُّ بِهَا عَلى سَلامَةِ صَـدرِهِ وَخلاصِ نِيَّتِهِ فِي النَّصـحِ لَهُم ، فَكَانَ مِن لَوازِمِ ذلِكَ السَّعي الحَثِيثُ فِي إقامَةِ البُرهانِ والحُجَّةِ الدَامِغَةِ عَلَى تَمحِيضِـهِ النُّصحَ لَهُم مَخافَةً عَلَيهِم ، لَا استِعظَامًا لِشأنِ نَفسِهِ بَينَهُم ، فَقَاطَعَ بينَ العُنوانِ الرئيسِ لِلدِيوانِ وَكَلِمَةِ التَّصدِيرِ الَّتي اَنتقَى لَهَا مِن بَعِ قَصائِدِ هذا الدِّيوانِ أدلَّ دَلِيلٍ عَلَيهَا وَأشـكَلَهَا بِالقَصـدِ ، وَتَوظِيفِ الأفعالِ بِدرَجاتِهَا المُتفاوِتَةِ فِي إبرازِ هَذِه الدَّلالَةِ ، مُوظِفًا بَعدَ الفِعلِ الطَّلَبيّ الآنِفِ الفِعلَ المَاضِـي (ظَعَنُوا) (عكاشـة م.، ٢٠١٤، الصفحات ٣٣٠-٣٣٢) وَكانَ الأَليقُ بِمقامِ الخِطابِ استِعمالُهُ لِلفعِلِ المُضَـارِعِ الدَّالِّ عَلَى الاستِمرارِ ؛ لِأَنَّ أيلُولَتَهُ إِلَى المَوتِ والفَناءِ لَم تَحِن بَعدُ ، وَلكِنَّهُ أنزَلَ مَا سَـيقَعُ مَنزِلَةَ مَا وَقعَ ، لِعلمِهِ بِحتمِيَّةِ وُقوعِهِ ، مُعالِقًا بَينَ قولِهِ هَذا وَمعنَى الآيَةِ مِن قَولِ اللهِ تَبارَكَ وَعَلَا : **(.. أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَستَعْجِلُوهُ (١) [النَّحلُ: آية ١].**

وَمضـمونُ هذا التَناصّ مُجرَّدٌ عَن حَقِيقَتِهِ المُتعارَفَةِ ، مِن ضَـرورَةِ تَضـمُّنِهِ اللَّفظَ والمَعنَى مَعًا صَـراحةً ، غَيرَ أنَّ المَعنَى يُؤيِّدُهُ ، ويُثبِتُ قَصدَ الشَّاعرِ إِلَيهِ ، تَقويَةً لِحُضـورِهِ فِي تَضـاعِيفِ النَّصّ ، وَتعزِيزًا لِمُرتكزاتِ فِكرَتِهِ الَّتي ذهَبَ بِالقارِئِ مِنهَا فِي مَذهِبِ الفِطنَةِ إِلَى ضـــرورَةِ الإعدادِ لِمَآلٍ لَا مَناصَ مِن التَّجهِيزِ لَهُ ، بِما يَتَّفِقُ مَعَ الغَايَةِ الَّتي صَاغَ مِن أجلِهَا هَذا العنوانَ (قطوس، ٢٠٠٠، الصفحات ٢٨-٢٩).

وِلأنَّهُ يَعلَمُ أنَّ حَقيقَةَ النُّصحِ مَدعاةٌ إلَى السَّكِينَةِ والهَدوءِ ، ضَمَّنَ مُحتَوى العُنوانِ الرَّئيسِ مُفرَدَتَينِ مُتَضَادَّتَينِ فِي الظَّاهرِ ، مُتَضَامَّتَينِ فِي دَلالَتِهِمَا السُّسيولوجيَّة فِي اَلباطِنِ.

فَإنَّ مَا انتَابَهُ مِن عَاطَفَةِ الحُبِّ تِجاهَ مَن يُنصَــحُهُم ، وَما امتَلَكَ زِمامَ نَفسِــهِ مِن نَاحِيَتِهِم ، هَوَ مَا أَصَّــلَ لِلتَّدَاعِيَاتِ النَّصيَّةِ بَينَ هَاتَينِ الكَلِمَتَينِ (تَراتِيلُ) وَ(الرَّحِيل) ، فِي نَسْجٍ وَاحِدٍ يَنتَظِمُهُما بِهِ عِقدٌ وَاحِدٌ ، يُشِيرُ بِاستِعمالِ (تراتِيل) إلَى اطمِئنَانِهِ النَّاتِجِ عَن النُّصحِ ، وَبِـ(الرَّحِيل) إلَى مَخاوِفِهِ النَّاجِمَةِ مِنهُ.

- **المِحوَرُ الثَّانِي : آفاقُ الانفِتَاحُ النَّصيُّ لَدَى (وَحيد شلال) وَالنَّصّ المُوازِي paratexte.**

أَمَّا فِيمَا يتعلَّقَ بِمُنطَلَقاتِ النَّصِ المَوازِي فِي دِيوانِ (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ) فَجَلاءُ صُــورَتِهَا رَاجِعٌ إلَى تِلكَ العَنوَنةِ وَهذا التَّصدِيرِ الَّذي آثَرَ الشَّاعرُ الافتِتاحَ بِهِ مُجتزِئًا إيَّاهُ مِن قَصِيدَتِهِ المُعنَونَةِ بِــــ(غرامِ العِراقِيَّاتِ) الوارِدَةِ فِي أَحَدِ دَواوِينِهِ الَّتي لَم تُطبَع بَعدُ ، مِن حَيثُ أرادَ الشَــاعرُ المُطابَقَةَ والمُمازَجَةَ بَينَ دِيوانِهِ هذا الَّذي بَينَ أيدِينَا وَآخَرَ تَحتَ مُتعالِيَةٍ مِن مُتعالِيَاتِ النَّصّ الخَمسَــةِ الَّتي حَدَّهَا (جِيرار جينت) فِي كِتابِهِ (عتبات) seuils، وَكَانَ قَدَ أَشــبَعَ القَولَ فِيهَا مِن ذِي قَبلٍ فِي كِتابِهِ المَعروفِ أطراس palimpsestes، إذ أكَّدَ عَلَى أنَّ هذِه العَتباتِ لَهَا أبرزُ التَأثِيرِ فِي فَهمِ وَتحدِيدِ مَضمونِ خِطابِ النَّصّ الشِّعريّ ، بِاعتِبارِهَا المَدخلَ المُوصِّلَ إلَى النَّصّ(Genette, p. p10) .

مُجَلِّيًا عَن تَوازٍ نَصــيٍّ دَامجٍ بَينَ جَملَةِ نصــوصِ هذا الدِّيوانِ وَقَسِــيمِهِ الَّذي أشــرنَا إلَى أنَّهُ لَم يُطبَع ، مِن خِلالِ آلِيَّةِ أَو مُتعالِيَةِ التَّوازِي ، فِي إشَارَةٍ إلَى وِحدَةِ الذَّاتِ المُنتِجَةِ لِكِلا النَّصيَّنِ ، بِما يَمِيزُ مُجمَلَ خِطابَاتِهِمَا علَى أنّهَا لَتلكَ الذَّاتِ لَا لِغَيرِهَا.

وَذلِكَ مِن أنواعِ التَّداعِي وَالاســتِقطابِ النَّصــيّ المُنبَثِقِ عَن تِلكَ الآلِيَّةِ، فَإنَّ مِن أظهَرِ وَأوضَــحِ مَلامِحِ الانفِتاحِ النصــيّ الَّتي شَكَّلَتْهَا مُتعالِيَةُ التَّ,ازِي هُنا ، مَا أشَرتُ إلَيهِ آنِفًا ، مُتَمثِّلَةً فِي استِحضَارِ الشَّاعرِ فِي نَصِّهِ المُتراتِبِ تَحتَ عَتباتٍ فَرعِيَّةٍ جُزءًا مِن نَصٍّ غَائبٍ مَعلومِ الطَّبِيعَةِ والجِنسِ ، مُبرِزًا قُدرَتَهُ الشِّــعريَّةَ عَلَى صَــياغَةِ

وَبلوَرَةِ النَّتائجَ المُتماثِلَةِ فِي عِدَّةِ دَواوينَ فِي دِيوانٍ وَاحدٍ ، مِن طَريقِ مَا يُسمَى بِالتَّفاعلاتِ النَّصيَّةِ – عَلَى حَدِّ تَعبِيرِ النَّاقدِ المَغربيّ سَعيد يَقطِين –

فَأنشَــأَ بِذلِكَ نَوعًا مِن الانفِتاحِ المُنتِجِ لِلكَثِيرِ مِن وَســائلِ الرَّبطِ والتَّأطِيرِ لِلنَّصّ الحَالِيّ بِالنصّ السَّــابِقِ أَو النَّصّ الحُضـوريّ بِالنصّ الغَيبيّ ، بِمَا يُدعو القارئَ إِلَى تَأمُّلِ تِلكَ العَلاقَاتِ الإطاريَّةِ المُوثِّقَةِ لِكِلا النَّصـين ، دُونَ حَاجَةٍ إِلَى الرُّجوعِ إِلَى مَسَاقاتِ النَّصّ الغَائبِ بِتمامِهَا.

وَمِن ثَمَّ تَفاعَلَتِ المَرجِعيَّاتُ النَّصيَّةُ بِواسِطَةِ مَا أحدَثَهُ الشَّاعرُ بَينَ نَصّيّ دِيوانِهِ الحَاضِر المَطبُوعِ ، وَالآخرِ الغَائبِ ، مِن طَرِيقِ المُتعالِيَةِ الَّتي وَضَـعَت كِلَا النَّصينِ فِي فَضَـاءٍ وَاحدٍ مَلأَ فَراغَهُ الخَارِجيَّ المُحِيطِ بِهِ بِمُعامِلاتِ الرَّبطِ بَينَهُمَا تَعضِيدًا وَتقوِيَةً لِفكرَةِ النَّصّ الحَاضرِ ، وَتمَثُّلًا لِمَا فَاتَهُ مِن نَشرَةِ النَّصّ الآخَرِ فِي صُلبِ دِيوانِهِ (تَراتِيلِ الرَّحِيل) ؛ لَيضَعَ القَارئَ مَعَهُ فِي قَناةِ المُشارَكةِ فِي فَهمِ وَتحلِيلِ مَقصدَياتِهِمَا مَعًا.

وَمِمَا أسبَغَ عَلَيهِ الشَّاعرُ صِبغةَ التَوازِي المُفصِحَةِ عَن مَدَى تَرابُطِ وَالتِحامِ نَصّـهِ المُصَدَّرِ بِهِ ، بَل وعَتبَةِ الدُّخولِ إِلَى دِيوانِهِ ، قَولُهُ (شلال، تراتيل الرحيل ، ٢٠٢١، صفحة ٤٢).

يَـــــــا رَاكِبًا إِمَّا تَمُرَّ فَبَلِّغَنْ عِندَ القِبابِ تَحِيَّةً لِأَبِي الحَسَنْ

قِفْ عِندَ أَعتابِ الضَّرِيحِ مُنادِيًا إِنَ الإمـــامَ مَلَاذُنَا يَـــومَ المِحَنْ

وَقَبِّلِ الكَفَّ الَّتي مَا سَاوَمَتْ يَومًا عَلَى حَــقٍّ وَإِنْ عَظُمَ الثَّمَنْ

بَل قَبِّلِ التُربَ الَّذي يَحوِي عَلَى كَنـزِ الشَجَاعَـةِ وَالفَصَاحَةِ والفِطَـنْ

فَبَينَ النَصَّينِ مِن الإيلافِ مَا يَتمَظهَرُ فِي وحدَةِ غَرضَيهِمَا ، مَعَ مَا فِي كلٍّ مِنهُما مِن مُعامِلاتِ الاستِقلالِ بَالغَايَةِ عَن الآخر حَيثُ اتَّفَقَا عَلَى غَرَضٍ أشبَهَ مَا يَكونُ بِالوَاحِدِ.

فَفِي الأَوَّلِ غَيَّا النَّصَّ بِالنُّصحِ المُمَحَّضِ لِمَن عَساهُ يَلقَى بِهِ السَلامَةَ مِمَّا قَد يَحلُّ بِهِ نَتيجَةَ عَدَمِ الإصغاءِ إلَيهِ ، وَفِي هذا الَّذي عَنونَهُ بِـ(تَحِيَّةً لِأَبِي الحَسَنِ) تَغرِيضٌ بِما يُصَطَلَحُ عَلَيهِ بِالرِّثاءِ ، مَعَ حِيادِ الشَّاعرِ عَن طَرِيقَةِ المَراثِي المُنهَجَةِ فِي شِعرِ غَيرِهِ؛ فَإنَّ لِلعرَبِ فِي مِثلِ ذلِكَ الغَرَضِ مِعيارِيَّةٌ بِنائِيَّةٌ لَا تَكادُ يَختَلِفُ فِيهَا أَحَدُ الشُّعراءِ فِي قَلِيلٍ أَو كَثِيرٍ.

ذلِكَ أَنَّهُم يَترنَّمُونَ – عَلَى مَجرَى الاعتِيادِ – بِخصَائصِ المُرثِيّ وِسماتِهِ المَعروفَةِ فِيهِ ، وَقَد يُبالِغُ أَحَدُهُم فِي جَمعِ بَعضِ مَا لَيسَ لَهُ مِن مَحمودِ الخِصالِ عَلَيهِ ؛ مُتأثِّرًا بِوقعِ المُصابِ ، أو مُتحَلِّلًا مِمَّا كَانَ يَتَّهِمُهُ بِهِ قَبلَ مَماتِه ، أَو طَلَبًا لِنَوالِ مَن لَهُ بِهِ صِلَةٌ.

إلَّا أنَّ الشَّاعرَ هُنا خَصَّصَ مُنظومَتَهُ بِمَا يَعكِسُ المُوازَاةَ بَيَنَهُ وَبينَ بَعضِ مَا صَاغَهُ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِن نُصوصِ الدِّيوانِ الآخَرِ الغائبِ (شلال، تراتيل الرحيل ، ٢٠٢١، صفحة ٥)، وَالَّذي جَعلَ مِن بَعضِهِ تَصدِيرًا لَهذا الدِّيوانِ ، فَحَمَلَ المُتلقِّي عَلَى صَرفِ ذِهنِهِ بَداءةً بِمُجرَّدِ الاستِماعِ إلَى هذا النصِّ ، إلَى ذلِكَ الَّذي اَجتَزَءَهُ مِن دِيوانِهِ الآخَرِ ؛ لِيضَعَ أَحَدَهُمَا بِإزاءِ الآخَرِ مُفاضِلًا وَمُوازِنًا، أَو رَابِطًا وَمُؤطِّرًا فِي مُحاوَلَةٍ لِتَفسيرِ العلامَاتِ والدَّوالِّ الخَاضِعَةِ فِي تَفسِيرِهَا لِفهَمِ كلٍّ مِنهُما مُرتَهنًا بِمَا جَعَلَهُ فِي مُقابَلَتِهِ.

وَمِن مَعاييرِ قِياسِ هذا التَّوازِي بَينَ هَذِينِ النَّصينِ ، قُربُ قَصدِهِمَا ، وَتَماسُّ مَغزَاهُمَا ، وَتَشابُهُ مَأتَاهُمَا ؛ فِي الافتِتاحِ والخِتامِ وَالمَقاطِعِ ، إذ إنَّهُ ابتَدَأَ الخِطابَ فِي تَصدِيرِهِ الَّذي عَلَّقَ فَهمَ بَعضَ مَغازِي وَمقاصِدِ دِيوانِهِ عَلَيهِ، بِنَمطٍ خِطابيٍّ طَلَبيٍّ مُغَلَّفٍ بِالفعِلِ المُستَقبَليِّ الخَارِجِ عَن حَقِيقَةِ استِعمالِهِ (ازهَدْ)، وَأتبَعَهُ بِجُملَةٍ طَلَبيَّةٍ أُخرَى مُفتَتحةٍ بِإحدَى أدواتِ العَرضِ والتَّحضِيضِ (هَلَّا) مِن قَولِهِ (شلال، تراتيل الرحيل ، ٢٠٢١، صفحة ٥):

ازهَد بِدُنياكَ إنَّا مَعشَرٌ ظَعَنُوا إلَى شَفَا حُفرَةٍ فِي الدَّهرِ مَسْرَانَا

لَو يَزدَهِيكَ نَعِيمٌ ثوبُهُ قَشِبُ فَسَوفُ تَلبَسُ بَعدَ الزَّهوِ أَكفانَا

هَلَّا نَظَرتَ إلَى الأَيَّامِ كَم سَحَقَتْ مَـا بَينَ أَقدَامِهَـا لِلقـاعِ رُكبَانَـا

وَأعادَ الكَرَّةَ ذاتَهَا لَدَى افتِتاحِهِ لِهذِه القَصـيدَةِ ، مُعَوِّلًا فِيهَا عَلَى الطَّلَبِ بِالنِّداءِ الَّذي مِن شَـأنِهِ إبرازُ مَدَى مَا يَربطُ المُنَادَى بِمُنادِيهِ مِن القُربِ حَقِيقَةً أَو حُكمًا ، وَمَا يُشِـيرُ إِلَيهِ مِن رَغبَةِ الشَّـاعرِ فِي إرادَة التَّواصُـلِ مَعَ هذا المُخاطَبِ ، مَعَ مَا يَعلَمُهُ فِي مِثلِ ذلِكَ المَقَامِ مِن استِحالَةِ التَّواصُلِ ؛ لِمَوتِ مُخاطَبِهِ وَفراقِ رُوحِهِ لِلحَياةِ.

بيدَ أنَّ مَا دَفَعَهُ إلَى تَحمِيلِ مُخاطَبِيهِ مِنَ الرّاحِلِينَ أو المارّينَ بِقبرِ أَبي الحَسَـنِ تَحِيَّتَهُ لَهُ، شُـعورُهُ بِأنَّ هذا المُخاطَبَ قَريبٌ مِنهُ مُجيبٌ لَهُ حَتَّى مَعَ مُفارَقَتِهِ لِلحَياةِ.

فَكَانَ قَولُهُ:

يَا رَاكِبًا إِمَّا تَمُرَّ فَبَلِّغَنْ عِندَ القِبابِ تَحِيَّةً لِأَبِي الحَسَنْ

بِمنزِلَةِ التَّرجَمَةِ الحَقِيقيَّةِ لِذلِكَ الشُعورِ الّذي أُخِذ بِهِ الشَّاعرُ ، إلَى حَدِّ إخراجِ مُخاطَبِهِ المَيِّتِ مَخرَجَ الأَحيَاءِ ، وَإلباسِهِ أثوابَهُم ، وَصفِهِ بِصفاتِهِم العَقليَّةِ والجِسميَّةِ ، مَا يُهَيِّئُهم لِلإصغاءِ إلَيهِ وَإجابَتِهِ.

ومَا تَرتَّبَ عَلَى افتتاحِ الشَّاعرِ بِهَذا القَولِ جَعَلَ مِن غَرضِ الرِّثاءِ لَدَيهِ مِن الجِدَّةِ والفَرادَةِ بِمكانٍ لَا يَستَوِي فِيهِ هَو وَمَن سَبَقَهُ إلَيهِ، إلَّا أنَّهُ أشبَهَ فِيهِ نَفسَهُ فِي رِثائِهِ وَنَعيِهِ عَلَى مَن تَوجَّهَ إلَيهِم بِالنُّصحِ فِي نَصِّـهِ الَّذي صَدَّرَ بِهِ دِيوانَهُ (تراتِيلُ الرَّحِيل)، حِينَ قَالَ:

..... إنَّـا مَـعشَـرٌ ظَـعَـنُـوا إلَـى شَـفَـا حُـفـرَةٍ.....

مُخبِرًا بِالفِعلِ المَاضِي المُحقِّقِ لِأنَّ الرَّحِيلَ حَتميٌّ لَا مَناصَ مِنهُ (ظَعَنُوا)، عَن ، وَحِينَ قَالَ:

..... **فَسَـــــــــــــــوفُ تَـلـبَـسُ بَـعـدَ الـزَّهـوِ أَكـفـانَـا**

مُؤكِّدًا عَلَى أنَّ اَلمَصيرَ المُصاحِبَ لِخلقِ كلِّ حَيٍّ، هوَ الفَناءُ؛ فَلزُومُهُ لَهُ لُزومًا قَدَرِيًّا لَا يَنفكُّ يُطارِدُهُ إلَى أَن يَنالَهُ، وَحِينَ قَالَ أَيضًا:

لَا تَفرَحَنَّ بِذِي الدُّنيَا وَزُخرُفِهَا فَكُلَّمَا اكتَمَلَتْ سَامَتْـكَ نُقصَانَـا

وَبَرزَتْ تَجَلّياتُ تِلكَ المُتعَالِيَةِ فِي أوضَـحِ مَظاهِرِهَا حِينَ تَمثَّلَ الشَّـاعرُ قَولَهُ الآنِفَ مِن التَّصـدِيرِ الَّذي حدَّ جيرارد حينت وظائِفَهُ فِي التَّوضِيحِ والبِنَاءِ (الجزار، ٢٠٠٧، صفحة ٦٦)، فِي قَولِهِ مِن عَتَبَتِهِ القَائِلِ تَحتَهَا:

قِفْ عِندَ أَعتابِ الضَّرِيحِ مُنادِيًا إنَ الإمـــامَ مَلَاذُنَا يَـــومَ المِحَنْ

وَقَبِّلِ الكَفَّ الَّتي مَا سَاوَمَتْ يَومًا عَلَى حَــقٍّ وَإنْ عَظُمَ الثَّمَنْ

بَل قَبِّلِ التُربَ الَّذي يَحوِي عَلَى كَنـزِ الشَجَاعَـةِ وَالفَصَاحَةِ والفِطَـنْ

فَفِي وُقوفِ مَخاطَبِيهِ عِندَ ضريحِ أَبِي الحَسَنِ تَذكيرٌ وَنُصحٌ وَوعظٌ لَهُم بِحالِهِ الَّذي آلَ إلَيهِ ، مَا يُرجِعُنَا إلَى نُصوصِـهِ السَّالِفَةِ الَّتي انغَلَقَتْ عَلَى إرادَةِ الشَّاعرِ مِنهَا تَوجِيهَ مُخاطَبِيهِ بِهَا إلَى أنَّ الفَناءَ مَقدورٌ عَلَى كُلِّ كَائنٍ أَيًّا مَا كَانَ.

وَفِي أمرِهِ المُتلَمِّسِ بِهِ الطَّلَبَ المُصحوبَ بِمعنَى التَّوسُّلِ إلَيهِم بِتَقبِيلِ تُرابِ قَبرِ المُرثيّ مُمَازَجَةٌ بَينَ مَا ذَكَرَهُ فِي تَصـدِيرِهِ وَمَا أَمَّهُ فِي قَصـدِهِ إلَى النَّصِـيحَةِ ؛ ذلِكَ مِن حَيثُ كَانَ التِزامُ المَرءِ تَنفيذَ مَا طُلِبَ مِنهُ فِي مَقامٍ كَهذا بُرهانٌ عَلَى وَفائِهِ لِمَن قَوَّتَ عَلَيهِ قَدَرُهُ الحَياةَ إلَى المَوتِ ، وَبِتخَطِّي الشَّـــاعرِ الحُدودَ المُؤطِّرَةِ لِلعلاقَةِ بَينَ هَذين

النَّصَّينِ ، تَجاوزٌ لِمُتعالِيَةِ التَّوَازِي المُلمَحِ إلَيهَا بِهذا التَّشكِيلِ المُتراكِبِ مِن تَداخُلِ المَعانِي ، وَسَيمولوجيَّةِ المتعالياتِ المَقاميَّةِ الرَّامِيَّةِ إلَى تَحلِيقِ كُلٍّ مِن النَّصَّينِ فِي فَضَاءَاتِ الآخَرِ (تدييه، ١٩٩٣، صفحة ٥٤).

وَمِن قَبِيلِ هذا الحُضورِ المُتوازِي بَينَ نصُوصِ هذا الدِّيوانِ وَبعضِهَا قَولُهُ، مِن قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا فِي حُبِّ الإمامِ عَليٍّ بنِ أَبِي طَالَبٍ (شلال، تراتيل الرحيل ، ٢٠٢١، صفحة ٥٤):

يَا نَبعَةً طَابَتْ وَطَابَ نَتاجُهَا كَــفُّ النَّبـيِّ بِسَقْيِهَـا تَتَعَهَّدُ

سِبطَيكُم سِبطِ الرَّسُولِ وَجَدِّهِم طَابَـتْ أَرُومَتُهُم، وَطَابَ المَحتَدُ

وَزَوجُكَ الزَّهرَاءُ بِنتُ المُصطَفَى وَرَبِيبُكَ الهَـادِي الأَمِيـنُ مُحمَّـدُ

مُرَاتِبًا بَينَ مَا نصَّ عَلَيهِ فِي نَظمِهِ هَذا ، وَمَا سَاقَهُ فِي مَقامٍ حضورِيٍّ آخَرَ ، فِي تَالِي تِلكَ القَصِيدَةِ ، مِن قَولِهِ ، مَادِحًا الزَهراءَ بِنتَ النَّبيِّ[(شلال، تراتيل الرحيل ، ٢٠٢١، صفحة ٦٠):

هِي الزَّهراءُ نُورٌ مِن أَبِيهَا أَضَاءَ الكَونَ تُورِثُهُ بَنِيهَا

وَمِن طُهرِ السَّماءِ لَهَا سِماتٌ سِمَـــاتٌ كَالمَلائِكِ تَنتَقِيهَا

فَعَينُ اللهِ تَرعَى خُطوَتَيهَا وَكَفٌّ لِلنُّبُوَّةِ تَحتَوِيهَا

وَحَيدَرُ زَوجُهَا مَرحَى وَمَرحَى لِمُختَتَمِ الحُرُوبِ وَمُبتَدِيهَـا

بَنُوهَا سَـادَةُ الجَنَّـاتِ طُـرًّا وَلَيسَ لِمِثلِهِم فِيهَا شَبِيهَا

إذ لَيسَ يَخفَى مَا بَينَ النَّصيَّينِ مِن المُبادَلَةِ المَوضُوعِيَّةِ وَالامتِزاجِ المَعنويّ ، وانصِهارِ كَلَيهِمَا فِي الآخَرِ انصِهَارًا نَصّيًّا مُتوازِنًا يُلمِحُ إلَى الإطارِ السَّياقيّ الَّذي انفَتَحَ كُلٌّ مِنهُما فِيهِ عَلَى الآخَرِ انفِتاحًا مَلحوظًا (يقطين، ١٩٨٩، صفحة ١٠٢)، مِن خِلالِ الرَوابِطِ اللُّغَويَّةِ المُعضِّدَةِ لِهَذا التَّراتُبِ المَلموحِ بَينَهُما.

فَبَينَ قَولِهِ فِي حَقِّ (عَلِيٍّ) وَوَلَدَيهِ : " طَابَتْ وَطَابَ نَتاجُهَا " وَقولِهِ فِي حَقِّ فَاطِمَةَ وَوَلَدَيهَا : " تُورِثُهُ بَنِيهَا " تَماسٌّ عِندَ نُقطَةٍ تُوَحِّدُ بَينَهُما ، وَتُردُّ القارئَ لَدَى النَّصِّ عَلَى أحَدِهِمَا إلَى استِحضَارِ النَّصِّ المُقابِلِ المُوَازِي ؛ لِأخذِ كُلٍّ مِنهُما بِعُنُقِ الآخَرِ مِن طَرِيقِ المَعنَى.

وَبَينَ قَولِهِ فِي إرجاعِ تَعهُّدِ الحَسَنِ والحُسَينِ بِالتَّربِيَّةِ إلَى كَفِّ النَّبيِّ : " كَفُّ النَّبيِّ بِسَقِيهَا تَتَعَهَّدُ " وَقولِهِ فِي الصَّدَدِ ذَاتِهِ : " وَكَفٌّ لِلنُّبُوَّةِ تَحتَوِيهَا " دَفقَةٌ هَندَسيَّةٌ أقامَت بَنيةَ المَعنَيينِ عَلَى أساسٍ وَاحدٍ يَرجِعُ إلَى يَقِينِ الشَّاعرِ فِي أنَّ مَا حَلَّ بِهذِينَ الوَلَدَينِ مِن البَركَةِ وَالمَحبَّةِ الَّتي احتَاطَتهُما قُلوبُ العِبادِ بِهَا ، إلَى تَعَهُّدِ النَّبيِّ لَهُما بِالرِّعايَةِ والاحتِواءِ.

وَهوَ مَعنًى عَلَى جَلَالِهِ يَبدُو مِن ظَاهرِ استِعمالِهِ أَنّ الشَّاعرَ كَرَّرهُ لِقِلَةِ مَؤونَتِهِ فِي تَصريفِهِ عَلَى وَجهٍ سِوَى الَّذي اخَتارَهُ لَهُ فِي المَرَّتَينِ ، مَا لَم تَكُن رَغبَتُهُ قَد ألَحَّتْ عَلَيهِ فِي إعادَتِهِ فِي تَالِي المَوضِعَينِ ؛ تَقوِيةً وَتعزِيزًا لَهُ ، وَالتِماسًا لِتوكِيدِهِ فِي ذِهنِ مُتلَقِّيهِ.

كَما يَظهَرُ أَيضًا مِن قَولِهِ فِي خِطابِهِ الشِّعريّ فِي أسبَقِ النَّصَّينِ (الحمداوي، لماذا النص الموازي، ٢٠٠٦، الصفحات ع ٨٨ ،١٢-١٣) " وَزَوجُكَ الزَّهرَاءُ بِنتُ المُصطَفَى... " وَقَولِهِ عَلَى طَرِيقَةِ الالتِفاتِ مِن الخِطابِ إلَى الغَيبَةِ الوَاقِعَةِ فِي نَصَّينِ مُتتابِعَينِ لَا فِي نصٍّ وَاحِدٍ : " وَحَيدَرُ زَوجُهَا مَرحَى وَمَرحَى... " انحيازُ أَحَدِ النَّصَّينِ لِمُوازِيهِ وَتشَرُّبُهُ لَهُ.

فَإنَّ فِي تَفاعُلِيَّةِ هَذينِ النَصَّينِ وَامتِزاجِ كُلٍّ مِنهُما بِقَسِيمِهِ مَا يُبرِزُ فِي السِّياقِ مَدَى مَا أرادَهُ الشَّاعرُ مِن تَأثِيرِ كُلٍّ مِنهُما فِي صَاحِبِهِ ، وَتأثُّرِ الشَّاعرِ بِمَرجِعِيَّةِ القِصَّةِ الَّتي أورَدَهَا أَصحابُ السُّنَنِ وَالسِّيَرِ لِتَعَهُّدِ النَّبيِّ لِسبطَيهِ الحَسَنِ والحُسينِ بِالعِنايَةِ والتَّربِيَةِ ، الَّتي جَعَلَتْ مِنهُما مَثَلَينِ لِلنَّباهَةِ والرِّفعَةِ وعلوِّ المَكانَةِ بَينَ النَّاسِ فِي الدُّنيا ، وَكَتَبَت لَهُما السُّؤدَدَ فِي الآخِرَةِ بَينَ أَهلِ الجَنَّةِ ، مَا حَدَّهُ الشَّاعرُ بِوصفِهِ لَهُما بِذَلِكَ عِندَ قَولِهِ:

بَنُوهَا سَادَةُ الجَنَّاتِ طُرًّا وَلَيسَ لِمِثلِهِم فِيهَا شَبِيهَا

وَفيمَا انطَوَى عَلَيهِ تَأويلُ هَذينِ النَّصَّينِ – عَلَى وَفْقِ مَا تَقدَمَ – مَا يُؤذِنُ بِأنَّ مُتعالِيَةَ التَّوازِي النِّصيِّ المَوسُومَةِ عِندَ (جِيرارِ جِونات) بِالنَّصِّ المُوازِي ، لَيسَت مَحصُورَةً فِي جَانِبِ المُناصَّةِ بَينَ خِطابَينِ مُتَّحِدَي الغَايَةِ أَو مُلتَحِمَي المَضمُونِ ، أَو عَددٍ مِن النُّصوصِ الخَارِجَةِ عَن السَّياقِ وَحَسبُ ، بَل قَدَ تَقعُ فِي مَسَاقٍ وَاحدٍ دَاخِلَ دِيوانٍ طَوَى تَحتَ عَتَبَتِهِ الرَّئِيسَةِ مَجمُوعَةً مِن القَصائِدِ ذاتِ الأغراضِ المُختَلِفَةِ وَالمُتَفاوِتَةِ.

عَلَى أَن تَكونَ بَينَهَا جَمِيعًا وَشِيجَةٌ تُعِينُ عَلَى إدراجِهَا ضِمنَ مُخطَّطِ المُتوازِيَةِ النَّصيَّةِ ، تَحلُّ مِن الدِّيوانِ مَحلَّ القَرِينَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الأَصلِ وَما تَفرَّعَ عَلَيهِ ، وَتُسهِمُ فِي بِناءِ عَلاقَةٍ انسِجامِيَّةٍ تَرأَبُ صَدعَ النُّصوصِ ، وَتُصحِّحُ مَسارَهَا خَارِجَ السِّياقِ ؛ لِتُجَلِي عَن أَوجِهِ التَّآلُفِ بَينَ أَجزَائِهِ المُنتَثِرَةِ فِي مَجمُوعِ مَا ضَمَهُ تَحتَهُ مِن عَتباتٍ فَرعِيَّةٍ لَا تَقُومُ بِذاتِهَا إلَّا مِن حَيثُ الغَرَضُ ، دُونَ عُمومِ المَوضُوعِ ؛ لِأَنَّهَا تَخضَعُ فِي تَشييدِ مِعمارِيَةِ الأغراضِ لِأسبابٍ انغِلاقِيَةٍ لَا تُفصِحُ عَن رَغبَةٍ فِي التَضامِّ والالتِئامِ ، غَيرَ أَنَهَا تُجَلِّي عَن رَغبَةِ الشَّاعرِ فِي دَوَرَانِ كُلٍّ مِنهَا حَولَ بَعضِهَا ؛ بِضَمِّهِ بَعضَهَا إِلَى بَعضٍ فِي دِيوانٍ وَاحِدٍ، وَإِلَّا فَقَدَتْ أهلِيَّةَ التَشابُكِ المَرجِعيَّةِ بَينَهَا، والتَّمثُّلاتِ الخَارِجِيَّةِ الَّتي اشْتُقَتْ مِنهَا خَارِجَ السِّياقِ وَداخِلَهُ.

- **المِحوَرُ الثَّالِثُ : أنماطُ التَّعالِي النَّصيّ المُوازِيَةِ فِي دِيوانِ (تَراتِيلِ الرَحِيلِ) paratexte**

وَما لَم يكُن مِنهُ بُدٌّ هُنَا – بَعدَ قِراءَةِ المُتوازِياتِ النَّصـيَّةِ فِي بَعضِ عَتباتِ دِيوانِ (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ) عِندَ وحيد شـلال – أَن تَقودَنَا تِلكَ القَراءَةُ النَّابِعَةُ مِن تَراثُبِ تِلكَ العَتَباتِ إِلَى الأصـلِ الَّذي اَنبثَقَتْ عَنهُ، فَأسـهَمَ فِي بِناءِ فَهمٍ وَاعٍ لِمُجمَلِ نُصـوصِ هذا الدِّيوانِ فِي ضَـوءِ مَا أطلَقَ عَلَيهِ جَيرار جينت، فِي كِتابِهِ (عَتَبات)seuilsK (جنيت، ١٩٨٧)، اسمَ النَّصِ المُتوازِي، فِي إطارِ حَدِيثِهِ عَن التَّعالِي النَّصـيّ transtextualite، عَلَى غِرارِ مَا قَدَّمتُ لَهُ فِي المِحوَرَينِ السَّالِفَينِ.

وَانطِلاقًا مِن ذلِكَ جَاءَ المِحوَرُ الثَّالِثُ هُنا عَلَى وَفْقِ مَا تَقضِـي بِهِ الرَّوابِطُ المَانِحَةُ لِنُصـوصِ هذا الدِّيوانِ قُوَّةً وَتماسُـكًا ، فِي مُسـتَوَييهِ النَّصـيَّينِ : النَّصِ المُصَـاحِبِ ، وَالنَّصِ المُحِيطِ ، كُلٍّ مَعَ مَا ضَـمَّهُ تَحتَهُ مِن عَناصِـرَ تُهَيمِنُ عَلَى النَّصِ مِن كُلِّ جَوانِبِهِ ، وتَمنَحُهُ التَّماسُـكَ والانسِـجامَ المَطلُوبَ لِوصـفِهِ بِالاسـتِقلالِيَّةِ وَالمَوضُـوعِيَّةِ ، وِ"مِن النَاحِيَةِ الأجناسـيَّةِ تَعمَلُ عَلَى تَحدِيدِ نَوعِهِ وَجِنسـهِ (اشـهبون، ٢٠٠٥، صـفحة ج٥٨/ص٢٨٠)، وَلعَلَّ ذلِكَ هَوَ الغَرَضُ لأَصِيلُ مِن مُحاوَلَةِ فَهمِ النصِ مِن خِلالِ عَتابَاتِهِ النَّصيَّةِ.

١-١ النَّصُّ المُصَاحِبُ peritexte :

وِطبقًا لِمَا تَقدَّمَ يُمكِنُ تَحدِيدُ مَاهِيَةِ النَّصِ المُصاحِبِ – بِحسَبِ تَحلِيلِ نَبيل منصر، لِمَا جَاءَ عِندَ جِيرار جينت – عَلَى أنَّهُ: " كلُّ خِطابٍ مَادِّيٍّ يَأخذُ مَوقعَهُ دَاخلَ فَضـاءِ الكِتابِ ، مثلُ العَنونَةِ أو التَّمهيدِ، وَيكونُ أحيانًا مُدرَجًا بَينَ فَجواتِ النَّصِ، مِثلِ عَناوينِ الفُصولِ أو بَعضِ الإشَارَاتِ (...) المُحيطُ النصـيُّ، وَيشمَلُ كلَّ عَناصرِ النصِ المُوازي الَّتي تَتَموضَعُ بِصِفَةٍ دَائِمةٍ أو مُؤقَّتةٍ خَارجَ الكِتابِ ، وَترتَبِطُ مَعَهُ بِعلاقةِ شَرحٍ أو تَأويلٍ

أو تَعليقٍ أو حِوارٍ ، إنَّها نُصـــوصٌ مُوازيةٌ تَدُورُ حَولَ النَّصّ" (منصـــر، الخطاب الموازي للقصـــيدة العربية المعاصرة، ٢٠٠٧، صفحة ٢٧).

وَهذا التَّعرِيفُ هَو مَا يُلقِي بِظلالِهِ عَلَى أيقوناتٍ وَثيماتٍ شِـــعرِيَّةٍ بِعَينِهَا يَتحدَّدُ عَلَى إثْرِهَا مَدَى التَّماسُـــكِ النصـــيّ بَينَ النَّصّ أو النُّصـــوصِ الَّتي ضَـــمَّهَا الدِّيوانُ تَحتَ عَتَبَتِهِ الأُولَى وَمَا صَـــاحَبَهُ مِن عَواملِ الذِّيوعِ فِي النَّاسِ والخُروجِ إلَيهِم عَلَى صُورَتِهِ الَّتي وَصَلَهُم عَلَيهَا.

وَلِذا فَإنَّ السَّعيَ هُنا كَانَ مَقرونًا بِذِكرِ مَا ارتَبَطَتْ بِهِ تِلَك المُصاحَبَةِ الَّتي نَصَّ عَلَيهَا (نَبيل مَنصر) فِي تَحدِيدِهِ لِمَاهِيَةِ النَّصّ المُصـاحِبِ ، كَالعَنونَةِ ، والتَّعلِيقاتِ ، والحَواشِـي ، وَالحِواراتِ... (رشام، ٢٠١٦، صـفحة ع٢١/ص٢٦٩).

أوَّلًا: المُستَصحَباتُ النَّصيَّةِ لِلعَناوِينِ peritexte :

تَأتِي العَناوِينُ الأَصـيلَةُ وَما اتَّصَـل بِهَا مِن العَناوِينِ الفَرعِيَّةِ فِي دِيوانِ الشَّـاعِرِ المُهندِسِ/ وحيد شـلال نَمطِيَّةً تَقلِيدِيَّةً فِي صِـياغَتِهَا وَتَطبيقاتِهَا المَعنويَّةِ عَلَى النُّصـوصِ المُدرَجَةِ تَحتَهَا ، مُنسَـجِمَةً مَعَ مَوضُـوعِهَا مَتآلِفَةً مَعَ الغَرَضِ مِن كلِّ مَنظومَةٍ فِي هَذا الدِّيوانِ ، غَيرَ أنَّهَا اتَّسَمَتْ بِصِفَةِ الخُصوصِيَّةِ فِي تَطابُقِهَا جَمِيعًا وَانعِطافِ بَعضِهَا عَلَى بَعضٍ.

وَبُروزُ أَثَرِ ذلِكَ مُتَجَلِّيًا فِي إشـــعَارِ أكثَرِ تلكَ العَناوِينِ الفَرعِيَّةِ لِهذا الدِّيوانِ ، لِمُتلقِّيهَا بِأنَّهَا جُزءٌ مِن النَّصّ المَوضُوعِ تَحتَها ، وَأنّ بَعضَهَا مُشتَقٌّ مِن بَعضٍ ، بِحَسَبِ مَا تَمَّ إيضَاحُهُ فِي المِحوَرِ السَّابِقِ.

عَلَى حِينِ أنَّنا نَجِدُ العُنوانَ الرّئيسَ لِهذا الدّيوانِ (تَراتِيلُ الرَّحِيلِ)، وَهوَ المُمَثِّلُ الأَعلَى لِصِـــفَةِ الدّيوانِ وَبَعضِ سِماتِ صَاحِبِهِ المُشِيرَةِ إلَى ذاتَويَّتِهِ فِي صِناعَةِ أغراضِهِ وَصِياغَةِ أنماطِهِ الخَاصَّةِ بِهِ والحَامِلَةِ لِبَصمَتِهِ، جَاءَ مُتصَـدِّرًا صَـفحَةَ الغُلافِ الخَارِجيّ لِلدّيوانِ ، فِي النِّصفِ الأَعلَى مِن الغُلافِ ، تَحتَ اسمِ الشَـاعِرِ (وحيد شلال) المُرسُومِ بِالخَطِّ العَربيّ النَّسخِ ، بِعَاليَةِ الجَانِبِ الأَيمَنِ مِنهُ ، مُؤذِنًا بِصِفَةِ هذا الشَّاعِرِ فِي تَعالِيهِ وَرِفعَتِهِ، وأنَّهُ مَصدَرُ تِلكَ النُّصوصِ المُفعَمَةِ بِحُضورِهِ الشَّخصيّ ، والمُرسِلَةِ لِشَارَاتِهِ الشّعرِيَّةِ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَى حُضورِهِ بَينَ طَيَّاتِهَا مِن الوَهلَةِ الأُولَى.

ذلكَ مِن تِلقاءِ العِلمِ بِأنَّ: "وَضعَ اسمِ صَاحبِ النَّصّ فِي أعلَى الغُلافِ يُعطِي انطباعًا بِأهميَّتِهِ ، لَا يُمكِنُ أَن يُستَشعَرَ بِوضِعِهِ فِي أسفَلِ الغُلافِ أَو أوسَطَهِ" (حماد، ١٩٩٧، صفحة ٦٤).

وَقَد شَـــكَّلَ اللَّونُ الأبيَضُ المُتداخِلُ مَعَ عَددٍ مِن الألوانِ الطَبيعِيَّةِ عَلَى لَوحَةٍ تَعبِيرِيَّةٍ اختُيرَت بِعِنايَةٍ فَائقةٍ؛ بِوصـفِهَا دَلِيلًا عَلَى تِلكَ الأنماطِ الشّـعرِيَّةِ المُتماثِلَةِ المُنبَعَثَةِ مِن الذَّاتِ الشَّـاعرةِ فِي هذا الدّيوانِ ، فِي أَن يُعَبّرَ بِصُـورَةٍ جَماليَّةٍ صَـامِتَةٍ عَن اتَّجاهَاتِ الشَاعرِ فِي دِيوانِهِ ، وعَن مَضمونِ الخِطابِ العَامّ لِمَجمَلِ نُصُوصِ هذا الدّيوانِ ، فَإنَّ الصُّـورَةَ المُنتقاةَ للغُلافِ تَدخلُ هِيَ أيضًـا ضِـمنَ إطارِ الفَضَـاءِ البَصَـريّ الَّذِي يَلجَأُ إليهِ الشَّـاعِرُ لِدَعمِ مَوضـوعِ دِيوانِهِ ، مِن حَيثُ جَعَلَ لَهَا الدَّرسُ السّـميولُوجِيُّ لُغةً خَاصَّـةً فِي التَّعبِيرِ – مِن خِلالِ أَيقُونِيَّتِهَا – عَن مَضمُونِ الخِطابِ الشّعريّ لِلدّيوانِ المُعتَمَدَةِ لَهُ (بوغنوط، ٢٠٠٧، صفحة ٥٠).

ثُمَّ إنَّنا نَجِدُ تَعبِيرَ الشَـاعِرِ عَن نَفسِـهِ مِن خِلالِ العَناوِينِ ، مُحتَشِـدًا بِالرَّوابِطِ الَّتي شَـكَّلَتْ الإطارَ العَامَّ لِلعناوِينِ الفَرعِيَّةِ لِنصُـوصِ هذا الدّيوانِ بِالعَتَبَةِ الأُولَى لِولُوجِهِ وَفهمِ مَقاصِـدِهِ وَتمييزِ جِنسِـهِ ، فَهَا هُوَ يُؤطِرُ علاقَةِ الفَرعِ بِأصلِهِ مِن خِلالِ هَذِه العَتَبَةِ الفَرعِيَّةِ (غرافي، ٢٠٠٣، صـفحة م٣١/ع١/ص٢٢٢) الَّتي وَضَـعَهَا

عَلامَةً عَلَى رِثاءِ أحَدِ أصـدِقائِهِ (الرَّحِيلُ لمُحزِنُ) ، والَّتي ضَـمَّ تَحتَهَا مُناصَّـةً مُتعالِقَةً بينَ هذا العُنوانِ بِسـمَتِهِ الشَّـجِيَّةِ المُحزِنَةِ ، وَعَتَبَةِ الدِّيوانِ (تَراتِيلُ الرَّحِيلِ)، بِمَا اشـتَمَلَتْ عَلَيهِ مِن مَعنًى عَامٍّ تَفرَّعَت تِلكَ العَتَبَةُ (الرِّحِيلُ المُحزنُ) عَلَيهِ ، بِوصِفَهَا جَزءًا مِنهُ.

وَمِن ثَمَّ انطَلَقَ مُغرِّدًا فِي فَضَاءِ نَصِّـهِ (الرِّحيلِ المُحزِنِ) بِمُتوازِيَةٍ تَناصَّتْ فيمَا بَينَهَا وَبَينَ النَّصِّ الَّذي صَدَّرَ بِهِ الدِّيوانَ ، فَقالَ:

تَمضِي السُنونَ وَتطوِينَا عَبَاءَتُهَا فَلَا يَغُرنَّك مِنهَا أَنَّهَا حُلُمُ

فَتظَاهَرَ النَّسـجُ المُحكَمُ بَينَ هذا النِّصِّ وَنَصِّـهِ الَّذي صَـدَّرَ بِهِ هَذَا الدِّيوانَ ، مَا أقدَرَهُ عَلَى التَّوثِيقِ بَينَ هذِينِ النَّصّـينِ بِعلاقَةٍ مَتِينَةٍ مِن جَانِبٍ ، وَبَينَهُمَا وَبينَ نُصـوصِ دِيوانِهِ الَّذي اجتَزَأَ مِنهُ نَصَّ التَّصـدِيرِ المُعنَونِ بِـ(غَرامِ العِراقِيَّاتِ) مِن جَانِبٍ آخَرَ، عِندَ قَولِهِ:

هَلَّا نَظَرتَ إلَى الأيَّامِ كَم سَحَقَتْ مَـــا بَيـنَ أَقدَامِهَا لِلقَاعِ رُكبَانَـا

فَبِإعمَالِ النَّظَرِ قَلِيلًا فِي هَذَا البَيتِ مِن مَرثِيَّتِهِ لِصـدِيقِهِ ، نَقِفُ عَلَى أوجِهِ التَّناصِّ المُتوازِيَةِ بَينَهُ وَبينَ سَـــابِقِهِ مِن المَذكورِ آنِفًا فِي نصِّ التَّصـــدِيرِ ، فِي بَعضِ مَقاصِـــدِهِ ، وَإن كَانَ الأَوَّلُ مُطلَقَ الغَايَةِ ، والثَّانِي مُقَيَّدَهَا.

ثَانِيًا : التَّقديمُ

وَيقعُ التَقدِيمُ بِالمَنزِلَةِ الَّتي تُجلّي عن مَغالِقِ المُمارسـاتِ النَّصـيَّةِ ؛ فِهي الحَقلُ المَعرفيُّ المُمهّدِ لِلدُّخولِ فِي عَوالِمِ النصّ الَّتي قَدَ تَخفَى عَلَى القَارِئ، إذا لَم يَقُدِّم بَينَ يَدَي النَّصّ بِمَا يُهَيّئـه لِفهمِـهِ (بلال، ٢٠٠٠، صفحة ٥٣) ، كَما أنَّهَا تُعِينُ عَلَى تَحدِيدِ الاستراتِيجيَّاتِ المُمنهَجَةِ المُتَّبَعَةِ فِي صِنَاعَةِ هذا النَّوعِ مِن النُّصوصِ، وطرائِقِ كتابتِهِ ، بما يتيحه الناص من خلالها للقارئ من "معلومات عن السياق أو سبب كتابة النص" (ديك، ٢٠٠١، صفحة ٢٥١) .

وتعدَّدت أنواعُ المُقدِّماتِ تَبَعًا لِتَعدُّدِ أنماطِ وَأجناسِ الكِتابَاتِ ، مَا بَينَ نَقدِيَّةٍ وشِعريَةٍ ، وَحِوارِيَّةٍ ، وَإرسَالِيَّةٍ (بوغنوط، ٢٠٠٧، صفحة ٦٤) ، والمُقدِّمَةُ الَّتي عَقَدَهَا النَّاشرُ لِديوانِ (تَراتِيلِ الرّحِيلِ) مِن نَوعِ الأُولَى والثَّانِيَّةِ ؛ سَعيًا مِنهُ لِمُطابَقَةِ نَوعِ المُقدِّمَةِ وَطَرِيقَتِهَا لِلغَرَضِ الَّذي قَدَّمَت لَهُ.

وَقَد ضَمَّنَ النَاشرُ المُقدِّمَةَ الحَدِيثَ عَن حَياةِ وَمؤلَفاتِ الشَاعرِ الشِّعريَّةِ ، وَعن نَمطِ نَظمِهِ ، وَعَددِ دَواوينِهِ مُتبِعًا ذلِكَ بِالتَّعرِيفِ بِالشَّـاعرِ ، عَلَى سَـبيلِ المُوازَاةِ بينَ نَصّ التَّقدِيمِ ، وَنصُـوصِ هذا الدِّيوانِ ، بِما يُعبِّرُ عَن شَـخصِـهِ ومَدَى مَا حقَّقهُ فِي دِيوانِهِ هذا وَبقيَّةَ دَواوينِهِ مِن التَّمازجِ بَينَ رُوحِهِ الشَّـاعرةِ وَمَقالَاتِهِ المُعَبّرَةِ عِن تِلكَ الرُّوحِ.

وَلِضـيقِ مَقامِ الحَدِيثِ النَّاشِـئِ عَن صِـغَرِ حَجمِ الدِّيوانِ لَم يكتَرِث النَّاشرُ لِذِكرِ أسماءِ الدَّواوينِ ، بَل اكتَفَى بِالتحشيَةِ الهَامِشيَّةِ لِمَا يُشعِرُ بِعددِهَا القَليلِ فِي إحدَى صَفحاتِ المُقدِّمَةِ.

كَما أنَّا نَلحَظُ فِي هذا الدِّيوانِ أنَّ الشَّـاعرَ لَم يُهدِهِ إلَى مَن عسـيَرى فِيهِ أنَّهُ أهلٌ لِذلِكَ مِن الزَّوجَةِ والوَلَدِ ، وَلعلَّ ذلِكَ لِكونِ الدِّيوانِ نُشِـرَ بَعدَ وَفاةِ الشَّـاعرِ، مِمَّا لَم يُمكِّنهُ مِن مُطالعَتِهِ وَلا الإشـرافِ عَلَى نَشـرِهِ ، وَلا إهدائِهِ لِمَن أحبَّ (شلال، ديوان تراتيل الرحيل، ٢٠٢١، الصفحات ٧-٨).

وَذلِكَ دَليلُ وَفاءٍ لِلمُحِبِّينَ مِمَّن أعانُوا أيًّا مِن الشُّعراءِ عَلَى إخراجِ نَتاجَاتِهِم الشِّعريَّةِ لِلنُّورِ ، بَيدَ أنَّ المَنيَّةَ فِي بَعضِ الأحيانِ تَسبِقُ التَّعبِيرَ عَن هذا الوَفاءِ الَذي يُكنِّهُ الشَّاعرُ لِهؤلاءِ.

وَمِن المُحتَّماتِ التي تَقودُنَا إلَيهَا ظواهرُ الانفتاحِ النصـــي هُنَا ، القولُ بِأنَّ الشَّـــاعرَ لَو كَانَ عَلَى قَيدِ الحَياةِ لَمَا بخِلَ عَلَى مَن أحبَهُم وَأحسَّ مِنهُم القوَّةَ الدَّافِعَةَ لَهُ، بِالحُبِّ المُصوَّرِ فِي صُورَةِ إهداءٍ يُدَبِّجُ بِهِ صَفحَةَ دِيوانِهِ الأُولَى ؛ لِمَا نَراهُ فِي شِـعرِ المَراثِي لَدَيهِ مِن الوَفاءِ الغَامِرِ لِكَثِيرٍ مِمَّن مَاتُوا عَنهُ وَفارقُوهُ مِن الأصـحابِ وَالأحبَّةِ ، وَالحيُّ أَولَى بِالوَفاءِ لَهُ مِن المَيِّتِ ، لَاسِيَّمَا لَو كَانَ مِن أهلِ الفَضلِ.

١-٢ النَّصُّ المُحِيطُ أَو(المُحيطُ النَّصيُّ) epitexte:

وَالمَقصُـودُ بِالمُحِيطِ النَّصـيِّ ، كلُّ مَا احتَاطَ النصَّ مِن أسـبابِ إنتاجِهِ ، وَعَواملِ اشـتِهارِهِ وعِلمِ النَّاسِ بِهِ مِن نَدواتٍ وَحوارَاتٍ ومُؤتَمراتٍ وَتعلِيقاتٍ وَنقَدَاتٍ .

وذلِكَ مَا لَم يكُن ثَمَّةَ فُسحَةٌ لِلشَّاعرِ وَحيد شلال لِعَمَلِهِ ، لِما أسلفنَاهُ مِن أنَّ دِيوانَهُ نُشِرَ بَعدَ وَفاتِهِ ، فَأكثرُ مَا انَطوَى عَلَيهِ المُحيطُ النَّصيُّ لَم يَكُن لِيتسنَّى لِلشَّاعرِ إدراكُهُ وَلا العَمَلُ عَلى إحرازِهِ بِنفسِهِ.

بَيدَ أنَّ احتِفاءَ نَاشـــرِ الدِيوانِ بِمُؤلَّفِهِ (دِيوانهِ) الَّذي بَينَ أيدِينَا ، جنبَ مَا نَعرِضُ لَهُ هُنَا مِن نَقدِهِ وَتحلِيلِهِ طِبقًا لِمُعطَياتِ هَذِه النَّظريَّةِ يُسَـــاعدُ عَلَى تَوفِيرِ مَناخٍ مُلائمٍ بعدَ ذلِكَ للتّعرُّضِ لِهذا الدِّيوانِ فِي ضَـــوءِ عِلمِ اللِّســـانِيَّاتِ النصيَّةِ مِن خِلالِ عَتبَتِهِ المُحيطِيَّةِ.

عَلَى أنَّ مِن أبرَزِ مَا يَتميَّزُ بِهِ المُحيطُ النصـيُّ فِي شِـعرِ هذا الشَّـاعرِ مِن مَلامِحِ التَّنويهِ بِشَـاعِريَّتِهِ المُتَأَثِّرَةِ بِالخَارجِ النَّصـيِّ مِن تَاريخيَّةِ المَولدِ وَالنشأةِ وَالتَّعلِيمِ ، مَا صَـدَّرَ بِهِ النَاشِـرُ أيضًـا لِهذا الدِّيوانِ ، مِن التَعريفِ بِوحيد شــلالِ ومولدِهِ وَمكانِهِ وَتعلِيمِهِ الَّذي تَركَ فِيهِ أثَرَهُ الملحوظِ فِي بروزِ مَوهبتِهِ ونمائِهَا وَتشـكُّلِ شِـخصـيَّتِهِ الشِّـعريَّةِ (شلال، تراتيل الرحيل ، ٢٠٢١، الصفحات ٩-١٤) .

إذ أحالَ هُناكَ بِذكرِ تِلكَ الذَرائعِ عَلَى شِعريَّتِهِ ، بِاعتِبارِهَا نَتاجًا طَبيعِيًّا عَنهَا ، وَسببًا مِن أسبابِهَا الَّتي تَعلَّقَتْ بِهَا تِلكَ الشَّـاعرِيَّةُ لَدَى وَحِيدِ شـلال ، لِأنَّهَا كَانَت الأبرزَ تَأثيرًا فِي تَشـكِيلِ مَلامِحِ هذِهِ الشِّـعرِيَّهِ الَّتي تَأثَرت بِأزمِنَةِ السلمِ وَأوقاتِ الحربِ الَّتي عَاشَهَا وَعاشَتْهُ.

الخَاتِمَةُ

وَتتَجلَى أبرَزُ نَتائجِ تَلكَ الدِّراسَـةِ المُقتَضَـبَةِ حَولَ دِيوانِ المُهندسِ الشَّـاعرِ العِراقيّ وَحيد شَـلالِ ، فِي ضَـوءِ نَظريَّةِ العَتباتِ النَّصـــيَّةِ ، فِي عَددٍ مِن المُفرداتِ الرَّئيســـةِ الَّتي تَرُدُّ القَارئَ إلَى مُجملِ المَادَّةِ البَحثِيَّةِ مِن أقَصَـــرِ طَرِيقٍ، عَلَى نَحوِ مَا يَلِي:

١) قُدرَةُ الشَّـاعرِ عَلَى تَمثُّلِ الكَثيرِ مِن المَرجعِيَّاتِ والتَّعالُقاتِ النَّصـيَّةِ – خاصَّـةً اللُّغويَّةُ – المُعَضِّـدَةِ لِفَحوَى خِطابِهِ فِي شِعرِهِ مِن هذا الدِّيوانِ.

٢) اَشتِمالُ هذا الدِّيوانِ عَلَى مَا مِن شَأنِهِ تَمثِيلُ الشَّاعرِ خَيرَ تَمثِيلٍ مِن العَنوَنَاتِ وَالعَتَباتِ المُفضِيَةِ إلَى فَهمِ وَتحلِيلِ خِطابَاتِهِ المُتوازِيَةِ فِي مُجمَلِ نصوصِ دِيوانِهِ (تَراتيلِ الرَّحِيل).

٣) كَانَ أظهرُ مَا تَميَّزَ بِهِ دِيوانُ الشَّاعرِ وَحيد شِلال (تَراتِيلُ الرِّحِيلِ)، اعتِمادُهُ عَلَى التَّوازِي النَّصيّ بِمُستَوَيِيهِ المُحِيطِيّ وَالمُصاحِبِ.

٤) اِنفتاحُ دِيوانِ (تراتيلِ الرَّحِيلِ) عَلَى فَضَـــاءَاتٍ أرحَبَ مِمَّا ضَـــمَّهُ هذا الدِّيوانُ بَينَ صَـــفحَتَي غُلافِهِ مِن النُّصـوصِ ، مُتجاوِزًا لَهَا إلَى فَضَـاءَاتٍ أُخرَى تَمثَّلَهَا بِالمُوازَاةِ بَينَ نَصُـوصِ هذا الدِّيوانِ وَبَعضِ قَصِـيدَةٍ لَهُ مِن دِيوانٍ آخرَ ؛ مُؤذِنًا بِأنَّ مُجمَلَ مَا نَظَمَهُ فِي كلِّ دَواوِينِهِ نَتاجُ ذاتٍ وَاحِدةٍ ، صَادِرةٍ عَن حِسٍّ وَاحِدٍ.

٥) تَطرُّقُ الشَّاعرِ إلَى النَّمطِيَّةِ والتَّقلِيدِ فِي صِياغةِ العَتَباتِ الفَرعيَّةِ لِقَصائِدِ دِيوانِهِ (تَراتِيلِ الرَّحِيلِ) نَاشِئٌ مِن رَغبَتِهِ فِي قَولَبَةِ نُصُوصِهِ وَجَمعِهَا فِي فَلَكٍ وَاحِدٍ يَضُمُّهَا تَحتَهُ ، وَهوَ المَوضُوعُ الَّذي عَلَّقَ عَلَيهِ الإبانَةَ عَن فَحوَى تِلكَ الخِطاباتِ فِي تتابعٍ مُشعِرٍ بِأنَّ مُتفرّقاتِ القَصائِدِ فِيهِ تَشكَّلتْ فِي ذاتٍ وَاحِدَةٍ قَبلَ أَن تَرَى النُّورَ.

المَصادر

. *voir: palimpsests* .Gerard Genette

جان ايف تديه. (١٩٩٣). *النقد الادبي في القرن العشرين* (المجلد ١). (قاسم مقداد، المترجمون) دمشق، سوريا: وزارة الثقافة.

جميل الحمداوي. (بلا تاريخ). صورة العنوان في الرواية العربية. *مجلة ندوة الكترونية* .

جميل الحمداوي. (١٩٩٧). صورة العنوان في الرواية العربية . *مجلة ندوة الالكترونية* .

جميل الحمداوي. (٢٠٠٦). لماذا النص الموازي. *مجلة الكرمل* ، الصفحات ١٢-١٣.

جون فان ديك. (٢٠٠١). *علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات* (المجلد ١). (سعيد حسن بحري، المترجمون) القاهرة، مصر: دار القاهرة للكتاب.

جيرار جنيت. (١٩٨٧). *عتبات* .

حسن محمد حماد. (١٩٩٧). *تداخل النصوص في الرواية العربية* (المجلد ١). القاهرة، مصر : الهيئة المصرية للكتاب .

ديوان الرصافي. (بلا تاريخ).

روفية بوغنوط. (٢٠٠٧). شعرية النصوص الموازية في دواوين عبد الله حمادي. *شعرية النصوص الموازية في دواوين عبد الله حمادي (اطروحة ماجستير) كلية الاداب واللغات / جامعة منتوري* . قسطنطينية، الجزائر.

سعيد يقطين. (١٩٨٩). *انفتاح النص الروائي* (المجلد ١). الدار البيضاء ، المغرب : المركز الثقافي العربي .

عبد الرزاق بلال. (٢٠٠٠). *مدخل الى عتبات النص – دراسة في مقدمات النقد العربي القديم* (المجلد ١). الدار البيضاء ، المغرب : مطابع افريقيا .

عبد الملك اشهبون. (٢٠٠٥). عتبات الكتابة في النقد العربي الحديث . *مجلة علامات* .

فريد حلمي. (١٠١٩). خطاب العتابات في رواية (ذاكرة الماء). *مجلة أبوليوس* .

فيروز رشام. (ديسمبر, ٢٠١٦). ما تقوله العتبات النصية. *مجلة معارف* .

لبسام قطوس. (٢٠٠٠). *قراءة في كتاب سيميائية العنوان ، الملتقى الدولي الثاني (السيميائية والنص الادبي) ، الطيب بو دربالة* .

محمد غرافي. (٢٠٠٣). قراءة في السيمولوجية البصرية . *مجلة عالم الفكر الكويتية الخاصة بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب* .

محمد فكري الجزار. (٢٠٠٧). *العنوان، وسيموطيقا الاتصال الادبي* (المجلد ١). مصر: الهيئة العامة للكتاب .

محمود عكاشة. (٢٠١٤). *تحليل النص دراسة الروابط النصية* .

محمود عكاشة. (٢٠١٤). *تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي* (الإصدار مكتبة الرشد ناشرون ، المجلد ١).

نبيل منصر. (٢٠٠٧). *الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة* .

نبيل منصر. (٢٠٠٧). *الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة* (المجلد ١). الدار البيضاء، المغرب : دار توبقال للنشر .

وحيد شلال. (٢٠٢١). *تراتيل الرحيل* .

وحيد شلال. (٢٠٢١). *تراتيل الرحيل* .

وحيد شلال. (٢٠٢١). *تراتيل الرحيل* .

وحيد شلال. (٢٠٢١). *تراتيل الرحيل* .

وحيد شلال. (٢٠٢١). *تراتيل الرحيل* .

وحيد شلال. (٢٠٢١). ديوان تراتيل الرحيل. ١ ، *عين الزهور للنشر والتوزيع* . اللاذقية ، سوريا .

وهيبة بهلول. (٢٠١٨). المتعاليات النصية في الشعر العباسي. *أطروحة دكتوراة* . أم القرى ، الجزائر .